معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس أصول السُّنَّة

شرح الشيخ محمود الراعوش حفظه الله

الدرس رقم (7)

التاريخ: الاثنين 24/ربيع الثاني/1440 هـ

31/كانون الأول/2018 م

عنوان هذا الدرس

(الإيمان بصفة الكلام لله، وبأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبالرؤية) .

ملخص الدرس السابع :

اشتمل هذا الدرس على أصلين:

- الأصل الثامن: نؤمن أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وهذا مرتبط بإثبات صفة الكلام لله عزوجل، وهو أن الله يتكلم بكلام حقيقي بحرف وصوت يسمعه من يشاء من خلقه.

- الأصل التاسع: ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

الدرس السابع من شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو المجلس السابع من مجالس شرح أصول السنة للإمام أحمد رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله: **"والقرآن كلام الله وليس بمخلوق".**

هذا أصل من أصول العقيدة، وهو الأصل الثامن من هذه الرسالة، وهو أصل عظيم يترتب عليه الكفر والإيمان، أو البدعة والسنة.

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم على هذه العقيدة ليس بينهم خلاف في ذلك إلى أن ظهرت الجهمية، فأنكروا صفة الكلام لله تبارك وتعالى ووصفوه بأنه لا يتكلم، فوصفوه بالبكم، وشبهوه بالجمادات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

أنكر المعطلة أن الله يتكلم، وبما أن القرآن كلام، قالوا إن القرآن ليس كلام الله! كلام من إذن؟ قالوا القرآن كلام جبريل، ومنهم من قال إن القرآن كلام محمد عليهما الصلاة والسلام، وبما أنه من كلام جبريل عليه السلام أو كلام محمد عليه السلام فهو مخلوق عندهم، هذه هي عقيدة المعطلة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

ولا شك أن هذا تكذيب بالقرآن الذي صرّح في آيات كثيرة لا تكاد تحصى أن الله يتكلم، وأن القرآن منزل غير مخلوق، فعقيدة المعطلة من أبطل الباطل، والسلف الصالح رضي الله عنهم متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، لم يكن يخالف في هذا أحد، ولما قال الجعد بن درهم أن القرآن مخلوق قتلوه، ولما قال بعده الجهم بن صفوان القرآن مخلوق قتلوه، قتلهم ولي الأمر من أهل السنة في زمانهم، لأن من قال القرآن مخلوق فإنه يكفر بهذه المقالة.

ولذلك كان السلف الصالح يقولون "**القرآن كلام الله**"، لا تجد من يخالف في هذا، ولا يحتاجون أن يقولوا "غير مخلوق"، إلى أن جاء أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي وبشر بن غياث المريسي المعتزلي بهذه المقالة، وكانا مقرّبين من المأمون بن هارون الرشيد وكان المأمون خليفة المسلمين، فأجبروا الناس بقوة السلطان على أن يقولوا القرآن مخلوق،

وكانت فتنة عظيمة لأهل الحديث استمرت أكثر من خمس عشرة سنة، وافتتن خلق كثير فيها كما تعلمون، وقُتِل من قُتِل وعُذِّب من عُذِّب وسُجِن من سُجِن، وصمد الإمام أحمد رحمه الله وهزمهم وحده، وصار يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة ويقول فيها - كما هو في هذه الأصول التي ندرسها -: "والقرآن كلام الله وليس بمخلوق"، لا بد أن تقول: "وليس بمخلوق"، فلا يكفي أن تقول: "**القرآن كلام الله**" وتسكت، بل يجب أن تقول: "**غير مخلوق**". لماذا؟

حتى تخالف قول المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، فإن هؤلاء المعطلة يقولون: "**القرآن كلام الله**"، ولكن مرادهم بقولهم القرآن كلام الله؛ أي مخلوق من الله، وجعلوا الإضافة لله للتشريف، قالوا هذه إضافة تشريف، مثل: "ناقة الله" أُضيفت الى الله لتشريفها، ومثل: "بيت الله" أُضيف إلى الله لتشريفه وتعظيمه، والناقة والبيت مخلوقان، هذا هو مرادهم بقولهم" القرآن كلام الله" ويسكتون، مرادهم أنه مخلوق.

فمن سكت ولم يقل "غير مخلوق" فإنه لم يبين لنا حقيقة عقيدته، فهو جهمي حتى يقول: "غير مخلوق"، لابد من التصريح بهذا.

فمن صرح وقال "القرآن كلام الله غير مخلوق"، فيقصد أن الكلام صفته وقوله، أما من قال القرآن كلام الله وسكت، فيقصد أن الكلام خَلْقُه، وأضافه إلى الله إضافة تشريف وتعظيم، فيكون معنى قوله "القرآن كلام الله" أي القرآن كلام الله وهو مخلوق من الله، وهذا كفر.

ولذلك قال الإمام أحمد: "والقرآن كلام الله وليس بمخلوق".

ثم قال بعدها: ولا تضعُف أن تقول: "ليس بمخلوق"، لأنه لا يجوز لك أن تضعُف عن قول ذلك، لأنك إذا ضعفت عن التصريح بذلك حكمنا عليك أنك جهمي أو معتزلي أو أشعري، لأن هؤلاء يقولون القرآن كلام الله، وقصدهم: خلَقَه الله، والإضافة للتشريف عندهم كما تقدم بيانه.

فلابد من التصريح بالحق وأن تقول: "**القرآن كلام الله غير مخلوق**"، هذا هو قول أهل السنة والجماعة قاطبة بعد فتنة ابن أبي دؤاد وإلى يومنا هذا، ولذلك قررها الإمام أحمد وغيره من أهل العلم أنها من عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثم قال رحمه الله: "فإن كلام الله منه ليس ببائن منه وليس منه شيء مخلوقاً"..

هذا برهان على أنه ليس بمخلوق، وهذا الكلام فيه ردّ على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين قالوا "خلق اللهُ كلامَه في غيره" كما قلنا من قبل. فمنهم من قال خلقه في جبريل عليه السلام ومنهم من قال خلقه في محمد عليه السلام، ومنهم من قال خلقه في الشجرة التي سمع موسى عليه السلام منها كلام الله.

فيقول الإمام أحمد "فإن كلام الله منه"؛ ما معنى هذه الجملة؟

معناها: أن الكلام صفته وقوله، أي صفة قائمة بذات الله، وهو قوله بحرف وصوت.

وقال "ليس ببائن منه"؛ أي كلامه ليس منفصلاً عنه كما تزعم المعطلة، ليس مخلوقا في غيره، لأن كل ما كان منفصلاً عن الله فإنه مخلوق، هذا لا ينكره أحد، كل ما سوى الله مخلوق.

فالخلاصة: أن كلام الله صفة ذاتية وفعلية، صفة ذاتية باعتبار أصله، وصفة فعلية باعتبار آحاده، فيتكلم الله بحرف وصوت متى شاء.

فكلامه صفته وقوله وليس منفصلاً عنه، فالله عز وجل متصف بالقدرة على الكلام، وبأنه يتكلم بحرف وصوت، فمن ادعى بعد ذلك أن القرآن مخلوق فقد ادعى أن شيئاً من الله مخلوق وهذا كفر.

ثم قال رحمه الله: "وإياك ومناظرة من أَحدثَ فيه"..

أي: احذر أن تناظر أهل البدع، وتقدمَت هذه المسألة، احذر من مناظرة المبتدع الذي يقول القرآن مخلوق، وقد سبق التحذير من الخصومات في الدين، سواءً كانت مع سني أو مع مبتدع، الخصومة في الدين محرمة مطلقاً، والخصومة في الدين مع المبتدع أشد تحريماً لأنه سيجرك إلى بدعته، فإذا كانت الخصومة في هذه البدعة وهي بدعة خلق القرآن فسوف يجرك إلى الكفر والعياذ بالله، ولذلك نصحك الإمام أحمد رحمه الله أن لا تناظره، وسبقَت هذه النصيحة من قبل وسيكررها لأهميتها.

الإمام أحمد رحمه الله يحذر من مناظرة أهل البدع والسماع لهم والقراءة في كتبهم تحذيراً شديداً، وهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة كما تقدم.

ثم قال رحمه الله: "ومن قال باللفظ وغيره":

أي: وإياك ومناظرة من أَحدثَ فيه، وإياك ومناظرة من قال باللفظ وغيره، هذا تقدير الكلام.

فالمقصود: احذر مناظرة من قال باللفظ.

ما معنى "من قال باللفظ"؟

هم اللفظية، والإمام أحمد بدّع اللفظية.

من هم اللفظية؟ هم الذين يقولون "لفظي بالقرآن مخلوق".

لماذا بدّعهم؟

الجواب لسببين:

- السبب الأول: لأن قولهم هذا؛ وفي زمن انتشرت فيه بدعة القول بخلق القرآن؛ يدل على أن القائل بهذا القول شاكٌّ في السنة، في قلبه شك، ولو كان مستيقناً أن القرآن غير مخلوق لصرّح بذلك ولما حاد هذه الحيدة،

لماذا يحيد هذه الحيدة؟ ما الذي يمنعه من الصدع بالحق إلا وفي قلبه شك؟ نعم؛ لا أحد ينكر أن أفعال العباد وألفاظهم وأقوالهم مخلوقة، أقوالنا التي نقولها وألفاظنا التي تخرج من فمنا هذه مخلوقة، ولكن هذا الجواب منه عندما يقول لفظي بالقرآن مخلوق؛ هذه حيدة عن الحق، هذا الذي يقول لفظي بالقرآن مخلوق حاد عن الجواب الصحيح وأراد أن يُلَبِّس على السائل وأن يطمس الحق، فهو لا يجرؤ أن يقول مخلوق، هذه عقيدته لكنه لا يجرؤ أن يقول ذلك، ولا يريد أن يقول غير مخلوق، فقال لفظي مخلوق، فهذه حيدة للتضليل والتلبيس، ولذلك بدّعه الإمام أحمد وقطع عليه الطريق.

- السبب الثاني لتبديعه: أن قوله لفظي بالقرآن مخلوق محتمِل:

- يحتمل أنه يقصد بقوله "لفظي" أي: نطقي مخلوق، فهذه حيدة عن الجواب الصحيح، كما تقدم.

وما حاد إلا وفي قلبه شك أو أنه متستر خلف هذه الكلمة.

- والاحتمال الثاني: يحتمل أن يقصد بقوله "لفظي" أي: الملفوظ به، وهو المنطوق به وهو القرآن نفسه.

أنت عندما تقرأ القرآن تتلفظ بالقرآن تنطق بالقرآن، فيكون لفظك هنا القرآن نفسه، فيكون معنى قوله: "لفظي مخلوق"؛ أي "الملفوظ مخلوق"

أي "المنطوق به مخلوق"،

يعني "القرآن نفسه مخلوق"، فإن قصد هذا فهو جهمي كافر والعياذ بالله، ولذلك قال الإمام أحمد: "اللفظية جهمية".

فالخلاصة:

أن قول القائل "لفظي بالقرآن مخلوق" جواب مبتدَع لأنه حيدة عن الحق لشكٍّ في قلبه، ويُحتمَل أنه جهمي وأراد بـ"اللفظ" الملفوظ نفسه، أي القرآن نفسه، وهو يعتقد أن القرآن مخلوق، فلا تُقبَل هذه العبارة منه.

ثم قال رحمه الله: **"ومن وقف فيه فقال لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق؛ هؤلاء الواقفة"..**

أي: إياك ومناظرة الواقفة.

من هم الواقفة؟ هم الذين توقفوا فلم يقولوا هو مخلوق أو غير مخلوق، بدّعهم الإمام أحمد وحذّرك من مناظرتهم ومجالستهم. فالواقفة من أهل البدع لأنهم ما توقفوا إلا وفي نفوسهم شك، وهذه المسألة- مسألة خلق القرآن- من أصول العقيدة ينبني عليها كفر وإيمان، فلا يجوز التوقف فيها، فالواقف فيها عنده شك في الحق الذي يجب أن يدين اللهَ به. أين الاتباع؟

لماذا لا تتبع إجماع السلف؟

لماذا تتوقف والحق واضح؟

هذا الواقف يوشك أن يجنح إلى أن يقول بقول الجهمية، فلا نرضى به ولا نجالسه حتى يصرّح بالحق، فحذر الإمام أحمد من مجالسته ومناظرته وبَدّعه وصرّح بتبديعه فقال رحمه الله في الجملة التي بعدها: **"وإنما هو كلام الله، فهو صاحب بدعة مثل من قال هو مخلوق".**

يعني هذا الواقف مبتدع، فألحَقَه بالجهمية والمعتزلة والأشعرية، لأنه شاكٌّ في دينه، غير متبع لطريق السلف الصالح، خالَف سبيل المؤمنين، خالَف الإجماع، ألا يسَعك ما وسِعَهم فلماذا

تتوقف؟ لماذا لا تصَرّح بالحق؟ فأنت منهم.

ثم ختم كلامه بخلاصة القول فقال رحمه الله: "وإنما هو كلام الله وليس بمخلوق"..

هذا هو الحق الذي لا يُقبَل منك غيره، لا يُقبَل منك أي كلام، لا تقل لفظي مخلوق، ولا تقل لا أدري مخلوق وغير مخلوق، لا يُقبَل منك هذا، ولا تكون من أهل السنة حتى تصَرّح بهذا القول: "إنما هو كلام الله وليس بمخلوق".

فانقسم الناس في هذه العقيدة إلى عدة طوائف:

- **الطائفة الأولى: هم أهل السنة والجماعة**، الذين قالوا "القرآن كلام الله غير مخلوق"، وأجمَعوا على هذا القول، أي أن الله يتكلم بحرف وصوت، والقرآن من كلامه، فالقرآن غير مخلوق.
- **الطائفة الثانية: المعطلة**، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم مما تفرع عنهم، ولكن هذه الطوائف الثلاث أكبرهم وأبرزهم، هؤلاء قالوا "القرآن مخلوق" واختلفوا في بعض التفاصيل، ولكنهم متفقون على أن الله لا يتكلم - والعياذ بالله - ومتفقون على أن القرآن ليس كلام الله، بل هو كلام جبريل أو كلام محمد أو غير ذلك، فهو مخلوق عندهم، هؤلاء المعطلة.
- **الطائفة الثالثة: اللفظية**؛ وهم الذين قالوا "لفظي بالقرآن مخلوق"، وهؤلاء مثل الجهمية، لأنهم قصدوا بـ"اللفظ"؛ القرآن نفسه، أو هم مبتدعة عندهم شك، فحادوا عن الجواب لشك في نفوسهم وأرادوا التلبيس على الناس، فبدّعهم الإمام أحمد وحذّر منهم.
- **الطائفة الرابعة: الواقفة**؛ هم الذين توقفوا، لم يقولوا مخلوق ولا غير مخلوق، وهؤلاء عندهم شك في دينهم، عندهم شك في هذه العقيدة التي أجمع عليها أهل السنة والجماعة، فخالفوا سبيل السلف الصالح، فبدّعهم الإمام أحمد وحذّر من مناظرتهم ومجالستهم.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في صفة الكلام - كلام الله عز وجل - هي:

(أن الله يتكلم، بكلام حقيقي، يليق بجلاله، بحرف، وصوت، يُسمِعه من شاء من خلْقِه، وأنه

صفة له غير مخلوق)، أجمَعوا على هذا.

فكلام الله عز وجل:

- (كلام حقيقي): ولا يُقال إنه أُضيف اليه مجازاً، ولا يُقال إنه أُضيف إليه للتشريف كما تقول الجهمية واللفظية، ولا نقول هو كلام نفسي كما تقول الأشعرية، بل هو كلام حقيقي يليق بجلاله سبحانه وتعالى لأنه ليس كمثله شيء.
- (بحرف): ودليل أنه بحرف قول النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».[1]
- وأيضاً(بصوت): والدليل أن كلام الله بصوت؛ قوله ﷺ: "يَحْشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ"[2]
- (يُسمِعه من شاء من خَلقِه): الله عز وجل يُسمِع صوتَه لمن شاء، يسمعه منه جبريل عليه السلام، وقد سمعه منه موسى عليه السلام وسمعه محمد عليه السلام ليلة المعراج.

وأيضاً الدليل على أن كلام الله يُسمَع؛ قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: 6]

أي حتى يسمع القرآن، فالقرآن كلام الله وهو مسموع، يُسمَع، يسمع الناس كلام الله عز وجل. ويستدل بالدليل السابق على هذا أيضا.

اما الأدلة على أن الله يتكلم فكثيرة، بل كثيرة جداً لا تكاد تحصى، فكل آية فيها (قال الله)، وكل آية فيها (قال ربك) كل آية فيها أمر ونهي، كل هذا من كلام الله عز وجل، ولكن نقتصر منها على دليلين:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]

هذا الدليل من أقوى الأدلة على أن الله يتكلم، لأنه مؤكد بالمصدر.

---

[1] سنن الترمذي 2910

[2] وهو صحيح، ذكره البخاري معلقا، ووصله في خلق أفعال العباد صفحة(98)، واخرجه أحمد(16042)وصححه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم (514).

الدليل الثاني: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ»، وهذا الحديث متفق عليه في الصحيحين[1]

فماذا نقول بعد هذا؟ ماذا نقول بعد كلام الله ورسوله؟ هذه نصوص صريحة تدل على أن الله يتكلم بكلام يُسمَع ويُفهَم، والأدلة على هذا كثيرة جدا كما قلنا.

ثم لما أنكر المعطلة صفة الكلام كبرت بدعتهم وانتقلوا الى بدعة أخرى فقالوا "القرآن ليس من كلام الله"، هكذا هي البدعة تجر بدعة أكبر منها، أنكروا صفة الكلام، ثم أنكروا أن القرآن من كلام الله، فقالوا إن القرآن مخلوق، وأنه كلام غير الله خلقه في غيره - والعياذ بالله -.

والأدلة على أن القرآن غير مخلوق كثيرة أيضا منها:

- قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]

فالأمر من الله هو كلامه، وهو شيء غير الخَلق، لذلك عطف الأمر على الخلق، وأهل اللغة يقولون: (العطف يفيد المغايرة)، عندما تعطف شيئا على شيء وتذكرهما معاً، هذا يدل على أن هذا الشيء غير هذا الشيء،

فلو قلتَ: "أكلتُ عنباً وموزاً"، فهل العنب هو نفس الموز؟ لا؛ العنب شيء والموز شيء، وهنا أيضاً قال الله عز وجل: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ دل أن الخلق له وان الأمر له، فدلّ على أن الخلق شيء والأمر شيء آخر، فالأمر من الله هو كلامه وقوله؛ بدليل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82]

فأمر الله غير مخلوق لأنه قوله، وهو كلامه.

- الدليل الثاني- وهذا صريح وأوضح -: أن الرسول ﷺ تعوّذ بكلمات الله، ولو كان كلام الله مخلوقاً لما جاز أن يتعوّذ به لأن التعوّذ بالمخلوق شرك،

[1] : البخاري 7443، 7512 ومسلم 1016

فقال ﷺ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ" [1]

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ" [2]

وهل كان إبراهيم ومحمد عليهما السلام يتعوذان بمخلوق؟!

فدلّ هذا على أن القرآن كلام الله سبحانه وأنه غير مخلوق لذلك جاز التعوّذ به.

فرغنا من **الأصل الثامن**، وننتقل الآن إلى:

الأصل التاسع

وهو: **الرؤية**

قال رحمه الله: **"والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحيحة".**

هذا هو الأصل التاسع في هذه الرسالة المباركة؛ وهو رؤية الله في الآخرة، فنؤمن أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، هذه العقيدة أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وهذه العقيدة ورد فيها أحاديث متواترة عن النبي ﷺ، متواترة: يعني رواها جمع كثير جدّاً، فقد رواها من الصحابة أكثر من ثلاثين صحابيّاً، وهذا معنى قول المؤلف **"كما رُوي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحيحة"**، فهي صحيحة متواترة لاشك فيها، حتى أهل البدع أنفسهم الذين يردّون بعض السنن لا يردّون الأحاديث المتواترة.

ولماذا لم يستدل المؤلف بالقرآن؟

الجواب: ورَد في القرآن أدلة على رؤية الله، ولكن حرّفها المعتزلة وأنكرَها الجهمية، منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22، 23]

---

[1] مسلم(2708).

[2] صحيح البخاري ٣٣٧١.

هذه الآية صريحة بأنها رؤية بصرية، وهي صريحة من الناحية اللغوية، ولا نريد أن نخوض في الناحية اللغوية حتى لا نطيل، هذه صريحة لا يمكن ردها من الناحية اللغوية، ولكن المعتزلة قالوا: هي رؤية قلبية، وأنكر الجهمية حتى الرؤية القلبية في الآخرة.

المعتزلة قالوا: أن المؤمنين يرون ربهم رؤية قلبية، والجهمية أنكروا حتى الرؤية القلبية.

أما الدليل من السنة على رؤية الله في الآخرة فقد جاءت صريحة صحيحة متواترة، لذلك استدل بها الإمام أحمد، وبيّنَت أنها رؤية بصرية بالعين بكل صراحة، فقال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، ...» [1]

كلام صريح وواضح، ومعنى لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ": أي: بلا تزاحم ولا ضرر.

فهذا الحديث صريح بأنها رؤية بصرية بالعين، لقوله ﷺ: "كما ترون هذا القمر".

ويجب أن ننتبه هنا أن النبي ﷺ شبّه الرؤية بالرؤية ولم يُشبّه المرئي بالمرئي.

النبي لم يُشبّه الله عز وجل بالقمر، لا؛ بل المعنى: أنكم سترون ربكم مِن فوقكم، وبلا تزاحم، وبلا ضرر، كما ترون القمر مِن فوقكم بوضوح وبلا تزاحم.

جميع أهل الأرض يرون القمر، ويرونه بوضوح تام ومِن فوقهم ومِن غير تزاحم بينهم ومِن غير ضرر فهذا تشبيه للرؤية بالرؤية وليس المقصود تشبيه الله بالقمر، لأن الله ليس كمثله شيء.

الدليل الثالث: استدل الشافعي - رحمه الله - على رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] ووجه الاستدلال أن الله عز وجل عاقب الكفار بعدم رؤيته، فهذا يعني أن المؤمنين يرونه إكراماً لهم، لأنه إذا كان الكافر يعاقب بعدم رؤية الله، فالمؤمن يراه، وإلا كانوا سواء.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26]

[1] البخاري 554 ومسلم 663.

الحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، كما فسرها النبي ﷺ، فهذا أعظم نعيم في الجنة.

فسر الرسول ﷺ (الزيادة) في آية يونس بالرؤية، برؤية الله، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ"، [1]

ولذلك فإننا عندما نُعرّف (الإخلاص) نقول: ***"الإخلاص هو أن تبتغي بعملك وجه الله"***.

ما معنى هذا الكلام؟ معناه أن تريد بعملك الصالح رؤية وجه الله في الجنة، هذه هي الغاية العليا عند المؤمن، العبد المخلص غايته من عباداته وجه الله، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: 20]

فلا يرضى المؤمن عن ذلك بدلا، والمرائي غايته وضيعة يريد بعبادته ثناء الناس.

بهذا نعلم أن رؤية وجه الله في الآخرة دافع للإخلاص في العمل، فهي دافع للعبد على أن يتقرّب إلى الله عز وجل وأن يخلص له في العبادة لأنها أعظم نعيم في الجنة.

وقد أنكر الرؤية الجهمية والمعتزلة - كما قلنا - وأثبتها الأشاعرة، ومن أنكر الرؤية فهو كافر لأنه كذّب بالقرآن وكذّب بالسنة المتواترة، فالإيمان برؤية الله عز وجل في الآخرة أصل من أصول السنة، أي من عقيدة أهل السنة والجماعة.

بقيت الآن مسألة اخرى في الرؤية، وهي:

هل رأى النبي ﷺ ربَّه في الدنيا؟ يعني ليلة المعراج؟

[1] صحيح مسلم(181).

هذه المسألة فيها خلاف عند أهل السنة، اتفق أهل السنة على الأصل وهو رؤية الله في الآخرة، واتفقوا على أن الله لا يراه أحد في الدنيا، هذا أصل متفق عليه، لكن وقع الخلاف في رؤية النبي عليه السلام لربه في الدنيا، فهذا فرع على أصل، لأنه حادثة وقعت.

ولا نقول إن العقيدة تنقسم إلى فروع وأصول! بل العقيدة كلها أصول متفق عليها، هناك فرق بين العبارتين.

قال المؤلف رحمه الله: **"وأن النبي ﷺ قد رأى ربَّه؛ فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ، صحيح رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس. والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره ولا نناظر فيه أحدا"**

هذه المسألة (هل رأى النبي ﷺ ربَّه - أي في الدنيا - يقظة بعينيه ليلة المعراج)؛ هذه المسألة فيها خلاف عند أهل السنة، وظاهر الروايات يدل على ان الصحابة اختلفوا في هذا ايضا.

فقال ابن عباس: إنه رآه.

وقالت عائشة: ما رآه بعينيه بل رآه بفؤاده.

وهذا ظاهر كلام الإمام أحمد هنا، يعني ظاهر كلام الإمام أحمد أن النبي ﷺ رأى الله بفؤاده، رآه بقلبه - يعني في المنام -فقال: **"وأن النبي ﷺ قد رأى ربَّه"**- هذا كلام الإمام أحمد هنا - فأطلق الكلام ولم يقيده بالرؤية البصرية، فيُحمَل كلامه على أنها رؤية قلبية لأنه قد ورد عنه أنه قيّد رؤية النبي ﷺ لربه بالرؤية القلبية في موطن آخر.

وبهذا جمع أهل العلم بين قول ابن عباس وعائشة، فقالوا إن ابن عباس أطلق وقال **"رآه"**، ولم يقيده أنه رآه بعينيه، فيُحمَل كلامه على أنه رآه بقلبه، بدليل قول النبي ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» وذلك في صحيح مسلم(178) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ».

وهذا هو قول عائشة، عائشة رضي الله عنها تقول: "أنه رآه بقلبه"، إذن فلا خلاف بين قول عائشة وقول ابن عباس.

ثم قال المؤلف رحمه الله: "فإنه مأثور عن رسول الله ﷺ صحيح"،

ثم ذكر له ثلاثة طرق، وقصده الحديث المسمّى (حديث اختصام الملأ الأعلى) وحسنه البخاري وصححه الألباني، هذا الحديث هو:

"عن معاذ قال قال الرسول ﷺ إِنِّي قُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي فَنَعَسْتُ فِي صَلَاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا بِرَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟" [1]

فهذا صريح أنه رآه في المنام.

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: "أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ – أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ – فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟..." [2]

فهذه الأحاديث تبين أنها رؤية قلبية.

ثم قال رحمه الله: "والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي ﷺ"..

الحديث؛ يقصد حديث اختصام الملأ الأعلى الذي ذكرتُه آنفاً وهو مروي عن ابن عباس ومروي عن معاذ، وظاهره أنها رؤية قلبية.

ثم قال رحمه الله: "والكلام فيه بدعة"..

أي الجدال فيه بدعة لأنه لا تجوز الخصومات في الدين كما تقدَّم..

قال: "ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره ولا نناظر فيه أحداً"..

ظاهره، أي ظاهر هذا الحديث أنها رؤية قلبية.

وقد ورد عن الإمام أحمد أنه قيّد رؤية النبي ﷺ لربه بالرؤية القلبية كما قال ابن تيمية وغيره .

وقوله (ولا نناظر فيه أحدا):

هذا توكيد لهذا الأصل المهم وهو تحريم الخصومات في الدين وخصوصاً في مسائل الغيب.

---

[1] الحديث أخرجه أحمد (22109) والترمذي (3235).

[2] الحديث: أخرجه أحمد(3484) والترمذي (3233).

والخلاصة المهمة - في مسألة الرؤية كلها - نقول:

أن أهل السنة والجماعة:

أولاً: أجمعوا على رؤية الله في الآخرة، أي؛ أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل في الآخرة وأن الكافر لا يرى ربه. هذا بالإجماع.

ثانيا: أجمعوا على أن الله لا يُرى في هذه الدنيا، هذا بالإجماع، لقوله ﷺ: "حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ"[1]

ثالثا: اختلفوا في رؤية النبي ﷺ لربه في هذه الدنيا،

والراجح أنه رآه بفؤاده لقوله ﷺ لأبي ذر لما سأله، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[2]

وهكذا الأحاديث التي فيها أنه رآه دلت على أنه رآه بقلبه، أي في النوم وأنه لم يره يقظة.

هذا والله تعالى أعلم،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك.

[1] مسلم(179)

[2] مسلم(178).

أسئلة الدرس السابع مع الإجابة عليها

- السؤال الأول: ما هي عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن؟
- ج1: أجمعوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

- السؤال الثاني: المعطلة يدعون أن القرآن مخلوق! بماذا ترد عليهم؟
- ج 2 : بقول الرسول ﷺ : "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ "[1].

وبقوله "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ"[2]

ولا يستعيذ الرسول بمخلوق.

- السؤال الثالث: هل يجوز أن نقول "القرآن كلام الله" ونسكت؟
- ج 3 : لا يجوز ؛لأن المعطلة يقولون ذلك، ومرادهم بقولهم :"القرآن كلام الله" أي هو من خلقه، وأضافوه إلى الله للتشريف، مثل (ناقة الله)و (بيت الله).

- السؤال الرابع: ما حكم من يقول: "لفظي بالقرآن مخلوق"؟

-ج 4: هذه بدعة، لأنها تحتمل معنيين:

1- فإن قصد بقوله (لفظي) أي نطقي، فهذه حيدة عن السؤال، لأننا لم نسأله عن لفظه ولكن سألناه عن القرآن الذي تكلم الله به.
2- وإن قصد بقوله (لفظي) أي الملفوظ؛ أي المنطوق، فقصده القرآن نفسه، فيكون فمعنى كلامه (القرآن مخلوق)، لذلك هو مبتدع في الحالتين.

ولذلك قال الإمام أحمد:" اللفظية جهمية ".

---

[1] (البخاري ٣٣٧١)
[2] (مسلم ٢٧٠٨).

- السؤال الخامس: من هم" الواقفة "، وما حكمهم؟
- ج 5 : هم الذين يتوقفون في القرآن ويقولون لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق.

وهم من أهل البدع، لأنهم عندهم شك في هذه العقيدة التي أجمع عليها السلف الصالح، ولا يخفى أن من خالف سبيل السلف الصالح فهو مبتدع.

فهذا المتوقف: شك في الدين، وخالف سبيل المؤمنين الذي أجمعوا عليه.

- السؤال السادس: اتفق المعطلة على أن الله لا يتكلم، بماذا ترد عليهم؟
- ج 6 : نقول لهم هذا كفر بالإجماع، لأن هذا تكذيب بالقرآن الذي قال الله فيه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء : 164].

وأيضا تكذيب بقول الرسول عليه السلام: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ» متفق عليه من حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه.[1].

- السؤال السابع: المعطلة يزعمون "أن القرآن ليس كلام الله"، بماذا ترد عليهم؟
- ج 7: نرد عليهم بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : 6] ...
- والشاهد قوله: "حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ"؛ أي حتى يسمع القرآن، فالقرآن كلام الله.

- السؤال الثامن: ما هي عقيدتنا في كلام الله؟
- ج 8 : نؤمن أن الله يتكلم: بكلام حقيقي، يليق بجلاله، بحرف ، وصوت ، يسمعه من شاء من خلقه، وأنه صفة له غير مخلوق.

[1] (البخاري ٧٤٤٣) (مسلم ١٠١٦)

- السؤال التاسع: هل يرى المؤمنون ربهم في الآخرة، وما الدليل على ما تقول؟
- ج 9 : نعم يرونه بأبصارهم، والأدلة على ذلك:

- **من الكتاب** قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : 23].
- **ومن السنة**: تواترت السنة بذلك، ومنها قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».[1]
- **وبالإجماع**: أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك.

○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●○●

[1] البخاري (٥٥٤) ومسلم(٦٣٣).